خليص في التاريخ المنسي (5)

محمد علي الشيخ

قراءة في الذاكرة

في العام ١٣٧٩ - ١٣٨٠ هجرية على وجه التقريب - على قياس السنة الدراسية = يلحق آخرها بأول مابعدها - كنت طالبا بالصف السادس في ابتدائية أسامة بن زيد بخليص - المغاربة .

ذاك الزمن الوحيد والأول الذي رأيت فيه خليص كطفل تعلق الأشياء بذاكرته غير مكتملة . ولم يكن التحاقي بالدراسة اختياريا ؛ فقد كان ضروريا لمن يدرسون بالمدارس الأهلية ، ويرغبون مواصلة التعليم - وأنا من أهل القرى الذين هاجروا للدراسة ثم العمل والاستيطان.

وقريتي لاتختلف هي الأخرى - مثلي أنا - عن بقية القرى المنزوية في ظل الجبال ، والرابضة على الأودية ؛ غير أن المشيئة التي تأتي - وكنت تشاؤها ، وتجهل أوانها ، غالبا ماتكون هي ذاتها تحولا خيرا في سير الأماكن والأشخاص . وقد كان صاحبها المؤرخ والأديب محمد علي مغربي - رحمه الله .

كان العام (١٣٧٢) على وجه التقريب - يزيد سنة أو ينقص سنة . وكان عمري ست سنوات تزيد شهورا أو تنقصها أياما ... فهو عهد بعيد لا أعي تفاصيله الآن ؛ ومثل ماهو زمن بعيد كان المكان بعيدا أيضا : قرية أم الجرم ؛ حيث وضع الرجل الفاضل محمد علي مغربي حجر البناء الثاني (مدرسة أهلية تلتزم بالمناهج الرسمية) بعد أن وضع (جدي) الشيخ عبدالصمد بن محيي الدين الشيخ حجر البناء الأول (الكتاب = المعليمة) في بادرة تنويرية ، تأسس عليها جيل من القراء ، وتعززت أحلام الإستزاده في طلب العلم ...

وفي عام (١٣٨٣) هجرية تأسست أول مدرسة حكومية بأم الجرم . وبذلك توقفت مرحلة من تاريخ صنع الكفاءة ، بفعل مبادرات إصلاحية تعجب عند استعراضها من مدى أفق أولئك الرجال .

وسلمت منجزها للقادمين ؛ لكنها ستبقى في ناصية التاريخ المفتوح ... ولن ينقطع حبلها الموصول من عمق العتمة إلى مشارف النور .

أما أنا فقد أكملت المرحلة الابتدائية في خليص - كما أشرت سابقا - وقد سبقني أخي الأكبر ، وتزوج بإبنة (خالنا) الشيخ حسن بن عبد الصمد الشيخ " وأقول يقينا ، أن أي أحد من جيلي ، ومن قبلنا ، ومن بعدنا حتى اليوم : وليس للشيخ في وعيه وذاكرته من لمعة وأثر حكاية " وامتد بي الحال = زوجا ومعلما ومديرا لنفس المدرسة في الفتره (١٣٩٥ و ١٣٩٦) هجرية .

وما كنت بحاجة لمثل هذه لإشارات في (السيرذاتيه) لولا ضرورة السياق ؛ فأنا ابن خليص المدلل ، وشاهد العصر منذ انطلاق الحركة التعليمية ؛ حتى عروجها آفاق الكمال .

تأسست على أوائل المعلمين السعوديين - في أول تجربة بأقل كفاءة وتكلفة . وأكمل نقصها الإخلاص ، والشغف ، وشرف المهنة ؛ ثم أصبحت - مع التوسع - كمثل الجامعة العربية - نخبة من الوافدين - وانتهت بالنخبة الوطنية وسعودة كامل (كوادرها) هذه اللوحة هي ذاكرة خليص المحفوظة في متخيلة الرواة كحدث عابر .

وتغيب عن المشهد التاريخي - كونها البنية الواقعية التي قامت عليها إسهامات الجيل والتحديث التنموي على مسرح الجغرافيا ، وخرائط المركز والأطراف .

ونحيل الراغبين في تفصيل إحداثيات التعليم في الفترة من ١٣٧٢ إلى ١٤٢٥ هجرية إلى دليل التعليم بمحافظة خليص - فكرة وإعداد الأستاذ عبدالرحيم بن مساعد المغربي مدير مركز الإشراف التربوي بمحافظة خليص ، والأستاذ حامد بن غيث المزروعي معلم الاجتماعيات بمدرسة الهجرة المتوسطة .

محمد علي الشيخ